مجلة تداوليات ISSN :2992-0795
المجلد: الثالث 03 / العدد: الأول01 / جويلية 2025 / ص ص: 51- 74

المنظومة المصطلحية في تأسيس مشروع البلاغة الجديدة عند محمد العمري

The terminological system in establishing the new rhetoric project of Muhammad Al-Omari

د.بـوزيد شـتوح
قسم اللغة والأدب العربي - جامعة غرداية
chettouh.bouzid@univ-ghardaia.edu.dz

ملخص:

يتمحور موضوع هذه الورقة البحثية على جمع ودراسة وتحليل منظمة من المصطلحات التي وظّفها الأستاذ الباحث: محمد العمري في إطار تأسيسه لمشروع البلاغة الجديدة، حيث تبين لنا بعد إحصائها أنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسة: فالقسم الأول يشمل مجموعة من المصطلحات القديمة التي استُعمِلت في تراث البلاغة العربية والنقد الأدبي، مما جعل العمري يحيي هذه المصطلحات في إطار تصور جديد يتماشى مع الدراسات اللسانية المعاصرة، والقسم الثاني يتضمن مصطلحات حدَاثية قام بترجمتها هو وغيره من الباحثين في هذا المجال، وأما القسم الثالث فيتمحور على مصطلحات أبدعها العمري في تأسيس وبناء مشروعه الهادف، وقد استخلصنا في هذه الدراسة أن العمري وظّف جُملة من الآليات العلمية والمنهجية كآلية الإحياء والترجمة والإبداع.

الكلمات المفتاحية:

المصطلح - محمد العمري - البلاغة الجديدة - الترجمة - البلاغة المعضودة - الخَطابية - الشعرية.

Abstract:

The subject of this research paper revolves around the collection, study, and systematic analysis of the terminology employed by Professor and Researcher Muhammad Al-Omari in establishing his New Rhetoric Project. After examining the terminology, we found that it falls into three main sections: The first section includes a group of old terms used in the heritage of Arabic rhetoric and literary criticism, which prompted Al-Omari to revive these terms within a new framework consistent with contemporary linguistic studies. The second section includes modern terms translated by him and other researchers in this field. The third section focuses on terms created by Al-Omari in establishing and constructing his purposeful project. In this study, we concluded that Al-Omari employed a number of scientific and methodological mechanisms, such as revival, translation, and innovation.

Keywords:
Term - Muhammad Al-Omari - New Rhetoric - Translation - Supported Rhetoric - Rhetoric - Poetics.

مقدمة:

ممّا لا شك فيه أنّ الباحث محمد العمري استعمل منظومة من المصطلحات موظِّفا إياها كآلية من آليات القراءة والتأويل للقضايا البلاغية والحجاجية العربية والغربية، منه ما هو متضمَّن دون التصريح به خصوصا في كتابه: "البلاغة العربية أصولها وامتدادتها، ومنه ما هو مُصرَّحٌ به في وذلك في كتابه: "البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول"، ودليل ذلك نجده في مقدّمة الكتاب حينما ذكر الخطّة التي انتهجها فيه، انتقل إلى الحديث عن المصطلحات التي أعطت مظهرا تجديديا وقدّم عيّنة عنها حيث يقول: "وسيصادف القارئ مجموعة من **المصطلحات الجديدة** التي لا مندوحة عنها للخروج من الخلط والاضطراب في بناء النّسق البلاغي الذي نتوخّاه. مثل لفظ الخَطابية ترجمة لريطورية أرسطو، في مقابل الشعرية وقياسا عليها. والمستمَع، على وزن مجتمع، ترجمة للكلمة الجوهرية في التداول الحجاجي auditoire، بدل المقام. والصورة ترجمة لـ figure، في مقابل كلمة حُجّة ترجمة لـ argument"[1]، فهذه عيّنه من المصطلحات المترجمة من مجال حجاجي لساني إلى المجال البلاغي، وهناك مصطلحات متضمّنة في سياقات متعدّدة في البحث أشار إليها في قوله: "وغير ذلك ممّا عرّفناه في مكان وروده، أو عبر سياقه"[2].

وقد قسّمنا هذه المصطلحات إلى ثلاثة أقسام، قسمٍ يشمل مصطلحات قديمة وُظفت في التراث البلاغي العربي فأحياها العمري، وقسمٍ يشمل مصطلحات غربية حَداثية ترجمها العمري، وقسمٍ ثالث يشمل مصطلحاتٍ تُعدّ من إبداع العمري في مشروعه.

ويمكن تحليل ذلك كالآتي:

1/ المصطلحات التراثية القديمة التي أحياها محمّد العمري في مشروعه

- الاختياروالرواية:

وظّف العمري هذا المصطلح في سياق حديثه عن البلاغة والاختيار الشعري مطبقا ذلك على نموذج "الحماسة"، وهذا المصطلح عنده يتكامل من جزأين أحدهما: (الاختيار)، وثانيهما: (الرواية)، فالاختيار

[1]/ محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، دار أفريقيا الشرق، المغرب، ط2، تط2012م، ص08.
[2]/ نفسه، ص08.

يُقصد به عند العمري: انتقاء قطع من الشعر تحتوي على مجموعة من القيم الجمالية، بخلاف المتروك منها، فدور المتخيّر هو أن يحرص على أخذ الجيد وترك غير ذلك[1]، وهو ما يُدعى بـ:" المختارات الشعرية".

وقد صنفها العمري إلى ثلاثة أصناف وهي:

1/ مختارات القصائد.

2/ مختارات المقطعات المتعددة الموضوعات.

3/ مختارات المقطعات الموحدة الموضوع[2].

هذا بالنسبة للعنصر الأول من المصطلح، وأما العنصر الثاني (الرواية) فيُقصد به عند العمري: عملية نقل القصائد مشافهة من شخص لآخر لغرض حفظها، وتحقيقها، وتوثيقها.

ثم يحدّد العمري الفرق بينهما (الاختيار والرواية) فيقول: "الاختيار هو عمل الذات المتخيّرة في تفاعلها مع النصوص، والرواية هي محاولة التطابق مع نموذج موجود بكل حذافيره"[3].

أي: أنّ حركية التفاعل النقدي تشتغل في عنصر الاختيار، وتبقى مهمة عنصر الرواية مجسدة في الحفظ والتحقيق والتوثيق، فهي تنطوي على موقف إيديولوجي من جهة المحافظة والتبعية، كما تنطوي على إجراء تقني له أدواته اللغوية (مثل الحفظ) وغير اللغوية (مثل: التحقيق، التوثيق).

- الإنشاء:

استعان العمري بمصطلح الإنشاء، باعتباره **لفظا عربيا أصيلا**، فانزاح عن معانيه الأصلية المتداولة نحو معنى جديد وواسع، والذي يتمثّل في إنتاج أيّ خطابي احتمالي مؤثّر سواء كان شعريا أو خَطابيا لقوله:" ... وتراودني رغبة في إزاحة كلمة "إنشاء" قليلا عن المعنى الذي استقر لها في الكتب المتأخرة لتدل على كل خطاب يحمل جهدا **تخييليا أو حجاجيا**، أي الخطاب الذي فيه **صنعة قصدية للتأثير والإقناع**"[4].

في هذا السّياق يجري العمري مقارنة في الترجمة بين الفرنسية والعربية حول استعمال هذا المصطلح وآخر (إنتاج) في إمكانية **شموليته** لكلّ فنون الخطاب، ليحدّد أفضلية مصطلح الإنشاء في البُعد الشمولي على غيره انطلاقا من السّمة الاشتقاقية للّغة العربية، وذلك في قوله: "حين نبحث عن بلاغة

[1]/ يُنظر: محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، دار أفريقيا الشرق، المغرب، ط2، تط2010م، ص70.

[2]/ البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، ص70.

[3]/ نفسه، ص71.

[4]/ نفسه، ص13.

عامة نحتاج إلى لفظ عام يدلّ على ما يقوم به الشاعر والكاتب والخطيب. فنحن نقول: الشاعر والخطيب والكاتب والروائي والسيناريست وكاتب النّص المسرحي...الخ. ثم نحتاج إلى اللّفظ الذي يجمع كل هذه الممارسات لكي نصوغ حوله بلاغة عامة. الفرنسيون يستعملون لفظ "إنتاج": إنتاج النّص production du texte، ويستعملون لفظ المؤلّف (Auteur) للدلالة على الذي يقوم بهذا الإنتاج. **ووضعنا في العربية أحسن لأنّنا سنشتقّ الفاعل من الفعل نفسه، فنقول: الإنشاء والمنشئ"**[1]

وبهذا فإنّ مصطلح الإنشاء عند العمري يحمل تصوّرا جديدا من ناحية شموليته في صياغة بلاغة عامة تستوعب كلّ فنون الخطاب الأدبي.

- بلاغة الصّحة والتناسب:

إنّ المقصود من كلمة الصّحة هو تلك الشروط والضوابط التي وضعها ابن سنان حول مستويات اللغة بدءًا من الصوت مرورا بالكلمة وصولا إلى الكلام والمعاني، وقد فصّل العمري في هذا الجانب تحت عنوان: "من المفرد إلى المؤلّف"[2]، حتى يتم بذلك شمولية مصطلح الصّحة على جميع تلك المستويات، وقد انتقى العمري قبلها كلمة "بلاغة"؛ على اعتبار أنّ ابن سنان حينما ربط الأصوات بالمعاني من جهة فقد أسّس لبلاغة صوتية من جهة، وبعد تدرّجه ووصوله للكلام فقد قام بتأسيس بلاغة للخطاب، إلا أنّ العمري لاحظ تداخلا عند ابن سنان حول مسألة التفريق بين مصطلح الفصاحة والبلاغة، فتارة يجعل البلاغة أعمّ من الفصاحة وذلك في قوله:" وفي البلاغة أقوال كثيرة (...) وإذا كانت الفصاحة شطرها وأحد جزئيها فكلامي على المقصود وهو الفصاحة غير متميز إلا في الموضع الذي يجب بيانه من الفرق بينهما على ما قدمت ذكره فأما ما سوى ذلك فعام لا يختص وخليط لا ينقسم"[3]. وتارة أخرى يجعل الفصاحة أعمّ من البلاغة كما نجد ذلك في قوله: "كل كلام بليغ فصيح وليس كل فصيح بليغاً كالذي يقع فيه الإسهاب في غير موضعه"[4].

وهذا التداخل أدى بالعمري إلى تقسيم شروط الفصاحة عند ابن سنان إلى ثلاث مجموعات (الكلمة مفردة، الكلام المؤلّف، تأليف الكلام)، وانتقى من هذه المجموعات المجموعة الثالثة في قوله:" فهذا يجعلنا نميل إلى أن المجموعة الثالثة (...) لاستيعاب شروط الفصاحة، وهي ما يلي:

[1]/ محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، دار أفريقيا الشرق، المغرب، دط، تط213، ص298، 299.
[2]/ البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص411.
[3]/ الخفاجي (أبو محمد عبد الله بن سنان)، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، تط 1402ه/1982م ، ص60.
[4]/ نفسه، ص59.

1/ تجنب التقديم والتأخير المخل.

2/ تجنب القلب المفسد للمعنى.

3/ حسن الاستعارة.

4/ تجنب الحشو غير المفيد.

5/ تجنب المغالطة.

6/ استعمال الألفاظ في مواضعها.

7/ تجنب الألفاظ الخاصة التي تختص بها أهل المهن والعلوم لأن الإنسان إذا خاض في علم وتكلم في صناعة وجب عليه أن يستعمل ألفاظ أهل ذلك العلم وكلام أصحاب تلك الصناعة.

8/ المناسبة بين اللفظين صيغة ومعنى.

9/ الإيجاز.

10/ الإرداف.

11/ التمثيل[1].

وعلى هذا الأساس ربط العمري مصطلح (الصحة والتناسب) مع مصطلح (البلاغة) وخصوصا عند دراسته لمشروع ابن سنان، على اعتبار أنّ هذا الأخير شكّل في مشروعه بلاغة متناسبة بين مستويات اللغة صوتيا وصرفيا وتركيبيا ودلاليا، وقضية (الصحة) هي جملة الشروط والضوابط التي وضعها لتكريس مبدأ التناسب وهو ما يُعنى بحقيقة البلاغة.

- البلاغة النقدية (النّقد البلاغي):

استعمل العمري هذا المصطلح في كتابه: "البلاغة العربية أصولها وامتداداتها" ضمن الفصل الرابع (البلاغة المعضودة) من المبحث الثاني (عند حازم)، حيث أنّه لم يصرّح عن السبب الذي جعله يستعمل هذا المصطلح، إلاّ أنّه من خلال تدقيقنا في مضامين ما جاء به حازم في كتابه: "منهاج البلغاء" رأينا أنّه كتاب يربط أصول البلاغة (العلم الكلي) بقضية نقدية وهي: مفهوم الشعر، وطبيعته، ووسائله الفنية التعبيرية، فالشعر عنده يقوم على التخييل ووسيلته في هذا هي المحاكاة[2]، ويُعرّف هذا المصطلح بأنّه

[1]/ يُنظر: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص413. نقلا عن سرّ الفصاحة في الصفحات الآتية: 111، 114، 118، 146، 157، 161، 166، 169، 205، 220، 229، 232.

[2]/ يُنظر: سعد عبد الله مصلوح، حازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر، دار عالم الكتب، القاهرة- مصر، ط2، تط 2015م، ص61.

تصوّر نقدي بلاغي أخذه العمري من مشروع حازم، وهذا التّصور قائم على أصول منطقية وتأويلية تربط بين الشّعر العربي والأوزان العروضية وما تمليه من علاقات معنوية تتنوع بحسَب تنوع المقامات الخطابية، والعامل في وجودها (العلاقات المعنوية)هو خصوصية الشعر العربي المتمثلة في القضايا الفنية والإبداعية والاستدلالية وهو ما ذكره حازم في قوله: "ولو وجد هذا الحكيم أرسطو في شعر اليونانيين ما يوجد في شعر العرب من كثرة الحكم والأمثال، والاستدلالات واختلاف ضروب الإبداع في فنون الكلام لفظا ومعنى، وتبحرهم في أصناف المعاني وحسن تصرفهم في وضعها ووضع الألفاظ بإزائها، وفي إحكام مبانيها واقتراناتها ولطف التفاتاتهم وتتميماتهم واستطراداتهم، وحسن مآخذهم ومنازعهم وتلاعبهم بالأقاويل المخيلة كيف شاؤوا، لزاد على ما وضع من القوانين الشعرية"[1].

وقد استثمر العمري هذا المصطلح في استنتاج توجيه حازم للقوانين البلاغية نحو ضبط الخصوصية الشعرية العربية عن غيرها من الشعر كاليونان مثلا[2]، وهذه القوانين أعطت أبعادا منطقية وحجاجية يستعين بها الشاعر للرّدّ عن آراء الناقدين لشعره.

- البلاغة المعضودة:

استنبط العمري هذا المصطلح من كلام حازم في الإضاءة الثالثة من المعلم (أ) من المنهج الثاني (الإبانة عن أنماط الأوزان في التناسب...)، من القسم الثالث (المباني) حيث يقول حول مستوى البلاغة التي ينبغي أن يرتقي إليها من يريد استقصاء العلل وكشف خفايا النظم: "ينبغي لمن طمحت به همته إلى مرقاة البلاغة المعضودة بالأصول المنطقية والحكمية لوم تسفف به إلى حضيض صناعات اللسان الجزئية المبنية أكثر آرائها على شفا جرف هار ألا يعتقد في وزن من الأوزان أنه مفتقر في وضعه إلى أن يفك من نظام آخر"[3].

وقد أكسب هذا المصطلح في مشروع العمري فهما شموليا للبلاغة وانفتاحا على الخطاب التداولي والحجاجي، ومردّ ذلك هو التصوّر الكلي الذي سلكه حازم للبلاغة الذي تجاوز المسائل التفصيلية وتفريعاتها لأنها نوقشت في كتب كثيرة قبله، ولهذا عمد إلى القضايا الكلّية لها بدليل قوله: "وقد سلكت من

[1]/ حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط3، دت ، ص70.
[2]/ يُنظر: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص486.
[3]/ منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص231.

التكلم في جميع ذلك مسلكا لم يسلكه أحد قبلي من أرباب هذه الصناعة لصعوبة مرامه وتوعّر سبيل التوصل إليه. هذا على أنه روح الصّنعة وعمدة البلاغة (...) فإني رأيت الناس لم يتكلموا إلا في بعض ظواهر ما اشتملت عليه تلك الصناعة، (فتجاوزت أنا تلك الظواهر) بعد التكلم في جمل مقنعة مما تعلق بها التكلم في كثير من خفايا هذه الصنعة ودقائقها"[1]. فهذا التّصور جعل العمري يثريه بمصطلح البلاغة المعضودة، إضافة إلى أنّ السبب في وجود قضية المنطق هو أنّ حازما وظّف الفكر الفلسفي العربي عند كلّ من الفارابي وابن سينا وابن رشد، والغربي من جهة أخرى عند أرسطو[2]، وفي المقابل استعمل العمري هذا المصطلح – كما أشرنا – عند قراءته لمشروع السّكاكي حينما انتقل من علم الأدب إلى البلاغة (علم المعاني والبيان) وربط ذلك بالنحو والجانب المنطقي المتعلق بالتبويب المنهجي.

ومن هنا نجد أنّ هذا المصطلح الذي وظفه العمري قد ساهم في وجود التصور الشمولي للبلاغة العربية، وشكّل آلية من آليات التحليل في قراءة المنجزات البلاغية عند كلّ من حازم والسّكاكي.

- التغيير:

ذكر العمري هذا المصطلح في سياق حديثه عن استعمالاته عند "ابن سينا" في تلخيصه للخطابة، وبيّن العمري أنّ هذا المصطلح له مفهوم عام عند ابن سينا تندرج تحته عدة صور من الإجراءات الدلالية القائمة على الإلحاق (التشبيه والتمثيل) والإبدال (الاستعارة والكناية والمجاز عامة)، ثم استنبط هذا التصور من بعض النصوص المدرجة في تلخيص الخطابة[3].

والذي يهمنا في هذا الصّدد هو مفهوم هذا المصطلح عند العمري وتحديد البُعد الحداثي الذي أضفاه فيه، فأمّا مفهومه فقد استخلصه في ثلاثة عناصر كالآتي:

1/ التغيير ليس جذعا عاما تتفرع منه جميع مكونات الأسلوب، بل توجد إلى جانبه المقابلات الدلالية وصورة من صور الكناية القائمة على وصف الأفعال وصولا إلى التعرّف على الشيء واستحضاره. والكناية هي نفسها الاستعارة من الاسم.

2/ التغيير يقابل الوضع، أي أنه انزياح عن مواضعة قائمة على مطابقة بين الدال والمدلول[4].

3/ يتسع التغيير للصور الدلالية الآتية:

---

[1]/ نفسه، ص18.

[2]/ يُنظر: حازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر، ص62.

[3]/ يُنظر: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص255، 256.

[4]/ يُنظر: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص256.

من خلال هذا المفهوم نستشفّ أنّ هناك بُعدين حداثيَيْن تضمّنا في عنصرين أساسيين وهما كالآتي:

أ/ أنّ العمري قد خصّص مصطلح التغيير حيث نقله من مفهومه العام عند ابن سينا إلى مفهوم بلاغي خاصّ يتعلق بالصور الدلالية (التشبيه، الاستعارة، المجاز، الكناية)، وهذا التّخصيص هو من معين المنهج التّأويلي للنصوص في التراث الذي ساهم في بلورة نظام اصطلاحي تندرج تحته الصور البلاغية المذكورة آنفا.

ب/ استثمر العمري في تحليله لهذا المصطلح بعضا من معطيات الأسلوبية واللّسانيات البنوية؛ وذلك في العنصر الثاني (التغيير يقابل الوضع، أي أنه انزياح عن مواضعة قائمة على مطابقة بين الدال والمدلول)، فالانزياح من معطيات الأسلوبية، ويقصد به العمري هنا بالضبط: الانزياح الدلالي، وقضية المواضعة القائمة بين الدال والمدلول، هي من معطيات اللسانيات البنوية (عند دي سوسير).

ومن هذا المنظور فإنّ العمري قد أعطى مظهرا تجديديا لهذا المصطلح الذي استنبطه من الفكر الخَطابي عند ابن سينا.

- الوظيفة الشّعرية:

وظّف العمري هذا المصطلح في سياق قراءته لمشروع عبد القاهر الجرجاني، حيث بيّن أنّ هذا الأخير قد فصّل في كتابيه "دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة" وظيفة الصورة الشعرية خصوصا في صور التمثيل باعتباره أوسع صور المشابهة وأعمقها خاصة حين يكون استعاريا.

ثم أعطى العمري مقولتين للجرجاني في كتابه "أسرار البلاغة"[1]؛ ليستدلّ بهما وجود هاتين الوظيفتين: إحداهما شعرية وأخرى حجاجية للصورة التمثيلية، والذي يهمنا في هذا الصدد هو قراءة العمري لهاتين المقولتين وإعطاء أمثلة مطابقة لما يراه في وجود الوظيفة الشعرية والوظيفة الحجاجية للتمثيل، وذلك في المخطط الآتي:

الوظيفة الشعرية للتمثيل في قول الجرجاني: ↓

التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني:

- استثار لها من أقاصي الأفئدة صبابةً وكلفًا.

الوظيفة الحجاجية للتمثيل في قول الجرجاني: ↓

للتمثيل تأثيرات متميزة في كل غرض:

– إن كان حجاجًا كان برهانه أنور.

[1]/ يُنظر إليهما في: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص385، وينظر في عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،ط1،تط 1422ه/2001م، ص93، 94.

وظيفة شعرية جمالية حجّة نتيجة

- قسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا. – إن كان افتخارا كان شأوه أبعدَ.

وظيفة شعرية تأثيرية حجّة نتيجة

ثمّ يضيف العمري أمرا هامّا ركز عليه الجرجاني ألا وهو: البُعد الفلسفي لهذه الوظيفة، وهذا البُعد متعلق أساسا بطبيعة النفس الإنسانية ونشأة الإنسان وعلاقته بالكون، ويفسّر ذلك بوجود مذهبين لهذه الوظيفة، وهما:

أ/ لذة المعرفة: هذا العنصر لا يقتصر على الشعر فحسب بل يشمل حتى الكلام المنثور، ويتّصف بأنه خطابي إقناعي لأنه – بحسب قول الجرجاني – يخرج النفس (أي المتلقي) من الخفي إلى الجلي، ويأتيها بصريح بعد مكني، وينبئها بشيء هي أعلم به على سبيل التوكيد والإقناع، وينقلها عن العقل إلى الإحساس[1]. حتى تشعر النّفس بلذّة هذا الانتقال والتنوع في أساليب الخطاب.

ولنضرب مثالا على ذلك: في قول المتنبي [من الوافر][2]

فإن تفق الأنام، وأنت منهم *** فإنّ المسك بعض دم الغزال

في هذا البيت الشعري نقل من الجانب العقلي (تفق الأنام وأنت منهم) إلى الجانب الحسي إن المسك بعض دم الغزال)، ويتضمن حجة مفادها هو: أنّ المتنبي أثبت لسيف الدولة بتميّزه على الخلق جميعا مع أنه بشر مثلهم، كما تميّز المسك برائحته وقيمته مع أنّ أصله دم الغزال.

ب/ لطف المفارقة: وأمّا هذا العنصر من الوظيفة الشعرية فإنه يجمع بين أنواع التشبيهات عموما، ويُقصد به وجود مفارقات ومتناقضات في ظاهر الصورة التشبيهية للشّعر، ولكن في المقابل تحتاج إلى لطف النظر (عمقه، ودقته الخفية) وروية حتى يظهر المعنى الحقيقي بصورة منسجمة عكس ما كان يُتصوَّر له في الظاهر، ولنضرب مثالا على ذلك:

قال ابن الرّومي: [قال: من البسيط][3]

ولازورديّة تزهو بزرقتها *** بين الرياض على حمر اليـــــواقيت

كأنّها فوق قامات ضعفن بها *** أوائل النار في أطراف كبريت

[1]/ يُنظر: أسرار البلاغة، ص121.

[2]/ يُنظر: نفسه، ص123.

[3]/ نفسه، ص130.

فالشاعر يشبّه صورة زهر البنفسج بلونها المائل إلى الزّرقة، وقد أحاطت بها باقة من الورود الحمراء، أقصر منها قامة، بصورة اللّهب المشتعل في أوائل عود كبريت.

وهذا التشبيه – في رأي الجرجاني- بلغ مبلغا لطيفا من الغرابة والإعجاب؛ لأنّ الشاعر جمع فيه بين متباعدين: وهما نبات غضّ يرف وأوراق رطبة ترى الماء منها يشفّ، ولهب نار في جسم مستولٍ عليه اليُبس، وبادٍ فيه الكلف[1]. وهنا يظهر محلّ المفارقة بين متناقضين (رطب النبات ويبسه) والذي يحتاج إلى عمق في تلمّس هذه المعاني الخفيّة واستثارة خيال المتلقّي، ولذلك جعلها العمري تتميّز باللّطف أي الخفاء والمفارقة أي في ظاهرها، وهذا هو العنصر الثاني من عناصر الوظيفة الشّعرية.

2/ المصطلحات الحَداثية الغربية التي ترجمها محمّد العُمري (أو غيره) في مشروعه

- الأسلــوبية: (La Stylistique)

يقول العمري عن هذا المصطلح: "وفي أدبيات الأسلوبية نقرأ أن بالي كان تلميذا لـ: "دي سوسير" وأنه لاحظ عدم تغطية نموذج أستاذه لكل أبعاد الظاهرة اللغوية. وكان من حقه أن يلاحظ ذلك، فتشبيه النظام اللغوي بقطعة الشطرنج وحده كفيل بجعل المبتدئ في اللعبة يلاحظ أنه نسق بدون قالب، أي أنه نسق يفتقد الجانب الوجداني؛ هذا الجانب الذي بحث عنه "بالي" وأسماه الأسلوبية"[2].

- الانزياح: (Lècart)

استعمل العمري هذا المصطلح في قراءته للتراث البلاغي العربي، ويظهر ذلك على وجه الخصوص عند قراءته لمشروع الجاحظ، والذي يتضمن خروجا فنّيا بلاغيا للخطيب عن الصّور المألوفة، والتراكيب المتداولة إلى تراكيب تخييلية (كالمجاز والتشبيه ...الخ) تساهم في إقحام الجانب الإيهامي الذي يفتح باب التأويل والتفسير، وكذا يساهم في وجود البُعد الجمالي للخطاب، كما استعمله عند قراءته لمشروع الجرجاني والذي ظهر فيه نوعان من الانزياح، نوعٌ تجسّد في كتابه: "دلائل الإعجاز" وهو الانزياح التركيبي، ونوعٌ تجسّد في كتابه: "أسرار البلاغة" وهو الانزياح الدّلالي، وقد ارتبط هذا المصطلح ببُعدين: بعدٍ ذوقي فني يرتبط بتذوق الأساليب والصور الفنية التخييلية، وبُعدٍ علمي منهجي نسقي يرتبط بما قدّمه السكّاكي انطلاقا من الفكر البلاغي عند الجرجاني، ذلك أنّ الانزياح التركيبي الذي ذكره العمري عند الجرجاني متعلق أساسا بعلم المعاني عند السّكاكي؛ لكون هذا العلم "يتتبّع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي

[1]/ يُنظر: أسرار البلاغة، ص130، 131.

[2]/ البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص24.

الحال"[1]، والانزياح الدلالي متعلّق بعلم البيان عند السّكاكي؛ لأنّ القصد ممن هذا العلم عنده هو "معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه"[2]، وبالتالي نجد أنّ هناك نسقا واحد بين المشروعين عند كلّ من الجرجاني والسّكاكي، وهذا المصطلح الذي استعمله العمري يعتبر من الآليات التي شكّلت هذا البُعد.

- البلاغة الجديدة:(La nouvelle eloquence)

يُعتبر العَلمان: بيرلمان وتيتيكا أوّلَ من وضعا هذا الاصطلاح، وذلك من خلال مؤلّفهما: البلاغة الجديدة – مصنّف في الحجاج- في عام 1958م، فقد حاولا بعث البلاغة الأرسطية في رؤية حداثية، مع تعديل في الطّرح، وتغيير في استراتيجيات البحث، واختلاف في تمثّل بعض المفاهيم، فجمعا جُملة من الأساليب الحجاجية وتصنيفها والعمل على تحليلها والبحث عن أصولها وتقنياتها المنطقيّة ومعرفة توظيفها في الخطابات المتنوعة، ومحاولة الوقوف على تأثيراتها المتعدّدة ورسم مفاهيمها عبر شبكة من المصطلحات والتّمثيل لكلّ ذلك بالشواهد والأمثلة المستقاة من مصادر الكلام المختلفة[3].

وأمّا استعمال العمري لهذا المصطلح فلقد كان جليا في كتابه: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، حيث رأى أنّ هناك أربعة تيّارات معرفية ينبني عليها هذا المصطلح، فالتيّار الأول ينتمي إلى جماعة مي (Mu) الذين ينظرون إلى أن تضمّ كلّ العناصر الأدبية في الخطاب؛ أي كلّ ما يشكّل "انزياحا". وهو ما ينطبق على صور الأسلوب بوجه خاص[4]، والتيّار الثاني هو مقاربة "جون بليز غرايز"(Jean- Blaise Grize).

فالعنصر البلاغي في نظره ما يخصّ الخطيب ويسعى إلى المساعدة على تلقي الشيء الذي قُدِّم. فالبلاغي من هنا متميّز ومختلف عن الحجاجي؛ لكون أنّ البلاغي يستعين بكلّ ما يؤدّي إلى تسهيل تلقي الخطاب[5]، والتيّار الثالث مثّله كلّ من بيرلمان وتيتيكا في مصنّفهما الخاص بالحجاج والبلاغة الجديدة واشتمال ذلك على المباحث البلاغية كالاستعارة وعلى الفنون الأدبية كفنّ السخرية، وأمّا التيّار الرابع للبلاغة الجديدة عند العمري الذي يمثّله "فرونسيس جاك"(jak Francis) والذي رأى أنّ الخطاب لا يقوم

[1]/ السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر)، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط2، تط1402ه/1987م ، ص161.

[2]/ مفتاح العلوم، ص162.

[3]/ يُنظر: بلقرينة محمد، آليات الخطابة الجديدة مقاربة لسانية تداولية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف، أحمد عزوز، جامعة وهران1 أحمد بن بلة، كلية الآداب والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، الموسم الجامعي، 2015/2014م، ص63.

[4]/ يُنظر: البلاغة الجديدة بين التخييل التداول، ص214.

[5]/ يُنظر: نفسه، ص215.

على مستويين فحسب (البرهاني والحجاج) بل هناك مستوى ثالث وهو: المستوى البلاغي الذي قد يوضع، من حيث الصرامة والصدق، تحت المستوى الحجاجي، والبلاغة في هذا التيّار بالنسبة لجاك تضمّ دائما جانبا من الرّتابة العمياء، ومن المداهنة التي تجعلها موضع شكّ[1]. فهذه التيّارات الثلاث لها صلة بمصطلح البلاغة الجديدة عند العمري.

وهي تيّارات شبيهة بما جاء به: **صلاح فضل** حول تحديده لمفهوم البلاغة الجديدة، والذي ذكر ثلاثة تيّارات فالأول هو نفسه عند العمري متعلق بعمل: بيرلمان وتيتيكا، والثاني نشأ في سياق البنيوية النقدية، ويحمل لواءه كل من: جيرار جينيت، تودوروف، وجون كوهن، وجماعة مو، وأما التيار الثالث فهو مرتبط بمنهج وظيفي مجاوز للاتجاه البنوي ومعتمد على السيميولوجيا من ناحية والتداولية من ناحية أخرى وهو يصبّ غالبا في اتجاهات علم النص[2].

- التأثير: (L'influnce)

يُعدُّ هذا المصطلح عنصرا متداخلا مع مصطلح (الاحتمال) ومتكاملا معه، إذْ أنّ الحديث عن إطار البلاغة عند العمري لابدّ له من استحضار هذين المصطلحين معاً، مع التركيز على مصطلح (الاحتمال) أكثر، وتبرز وظيفة هذا المصطلح في وجود الأثر الفعلي الذي يحدثه المتكلم في نفسية المتلقي أثناه خطابه بمجموعة من الظواهر البلاغية، وقد أتى العمري بهذا المصطلح من عند "كونستانتان سالافاسترو" (Constantin Salavastru) في كتابه: "البلاغة والسياسة، خطاب القوّة وقوّة الخطاب"، وتتلخص الدراسة في هذا الكتاب المندرجة ضمن سيكوجوية السياسة في"رصد الأثر الفعلي للبلاغة في السياسة"[3]، حيث ركّز فيه على القضايا المتعلقة بالخطابية، والنّزعات (الاتجاهات) البلاغية المحيطة بها (الخطابية)، وهي النزعة الشعرية (مجموعة مي البلجيكية)، والنزعة الحجاجية (بيرلمان، تيتيكا...الخ)، النزعة النصية الأسلوبية (تودوروف، رولان بارت...الخ)، والنزعة الميتافيزيقية (دريدا، بول ريكور...الخ)[4].

وبالتالي فهذا المصطلح وطيد الصلة بالجهاز المفاهيمي للبلاغة العربية عند العمري لكونه وصفا للخطاب البلاغي القائم على التأثير في قوله: "البلاغة هي علم الخطاب **المؤثر** القائم على الاحتمال"[5]، وهذا الوصف يؤدي إلى انفصال البلاغة عن النّحو لكونه خطابا مندرجًا ضمن ثنائية الصواب والخطأ، في حين

[1]/ يُنظر: البلاغة الجديدة بين التخييل التداول، ص216، 217.

[2]/ يُنظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، دار عالم المعرفة، القاهرة- مصر، دط، تط أوت 1992م ، ص65-67.

[3]/ محمد العمري، المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة، دار أفريقيا الشرق–المغرب، دط، تط2017م ، ص82.

[4]/ يُنظر: نفسه، ص83.

[5]/ نفسه، ص71.

أنّ البلاغة لما ارتبطت بالنزعات المذكورة سلفا تعدّت وظيفتها من مجرّد التبليغ إلى التأثير في نفسية المتلقي، والعمري في ذكره لهذا المصطلح الأساسي لمفهوم البلاغة يحيلنا إلى أبعاد جمالية التلقي التي تتمثل في الموقف الذي يحدثه المتلقي من العمل الأدبي (خطاب المرسل) بعد حدوث هذا الأثر الحاصل في نفسيته، وفي هذا الصّدد يذكر "ياوس" ثلاث وحدات متلازمة ينبني عليها المعنى الذي يؤوّله المتلقي للعمل الأدبي وهي: الفهم والتفسير والتطبيق، فالفهم يتضمن بداية التفسير، وعملية التفسير تتعلق بصياغة المعنى وتأويله، والتطبيق يكون في نهاية الأمر وهو محصّلة هذه الوحدات[1].

وفي مقابل ذلك نجد أنّ هذا المصطلح له تقاطعات مع التراث البلاغي العربي عند الجرجاني الذي أولى عناية كبيرة للمتلقي وأثره النفسي بعد تلقيه للخطاب وإبداعه الفنّي في الرّد عليه، وفي كثير من الأحوال يدعو الجرجاني المتلقي أن يكون متذوقا للخطاب ومنفعلا معه حتى يحدث له أثر بالغ في نفسيته، حيث يقول مخاطبا: "المعنى لا يحصل لك إلا بعد انبعاث منك في طلبه، واجتهاد في نيله، هذا وإن توقفت في حاجتك أيها السامع للمعنى إلى الفكر في تحصيله، فهل تشك في أن الشاعر الذي أداه إليك، ونشر بزه لديك، قد تحمل فيه المشقة الشديدة، وقطع إليه الشقة البعيدة، وأنه لم يصل إلى دره حتى غاص، ولم ينل المطلوب حتى كابد منه الامتناع والاعتياص"[2]، فنلحظ من هذا أنّ الجرجاني يدعو المتلقي دعوة صريحة للاجتهاد في فهم المعنى وتذوقه، ومن أمثلة الظواهر البلاغية التي تحدث أثرا نفسيا للمتلقي نجد: التشبيه التمثيلي، الذي فصّل فيه ورأى أنّه يحدث تكاملا بين اللفظ ووجه الشبه ليؤدي بذلك إلى إحداث الأثر النفسي على المتلقي وفي ذلك يقول: "اعلم أن الذي أوجب أن يكون في التشبيه هذا الانقسام، أن الاشتراك في الصفة يقع مرة في نفسها وحقيقة جنسها، ومرة في حكم لها ومقتضى، فالخد يشارك الورد في الحمرة نفسها وتجدها في الموضعين بحقيقتها واللفظ يشارك العسل في الحلاوة، (...) وهو ما يجده الذائق في نفسه من اللذة، والحالة التي تحصل في النفس إذا صادفت بحاسة الذوق ما يميل إليه الطبع ويقع منه بالموافقة، فلما كان كذلك، احتيج لا محالة إذا شبه بالعسل في الحلاوة أن يبين أن هذا التشبيه ليس من جهة الحلاوة نفسها وجنسها، ولكن من مقتضى لها، وصفة تتجدد في النفس بسببها، وأن القصد أن يخبر بأن السامع يجد عند وقوع هذا اللفظ في سمعه حالة في نفسه، شبيهة بالحالة التي يجدها الذائق للحلاوة من العسل.."[3]

[1]/ يُنظر: ناظم عودة خضر، الأصول المعرفية لنظرية التلقي، دار الشروق، الأردن، دط، تط 1997م، ص136.
[2]/ أسرار البلاغة، ص145.
[3]/ نفسه، ص98.

لذا فإنّ هذا المصطلح (الأثر) الذي استعمله العمري له أبعاد في الدراسات اللسانية المعاصرة وخصوصا بنظرية التلقي من جهة، وله أبعاد في التراث البلاغي العربي عند الجرجاني.

إلاّ أنّ الشيء الجديد عند العمري حول هذا المصطلح هو جعلُه عنصرًا أسياسيًّا في وصف الخطاب المرتبط بتعريف البلاغة (الخطاب المؤثر) وأنّه قد صرّح به في كتابه:"المحاضرة والمناظرة" كمصطلح مستقل يتضمن قضايا حجاجية وشعرية وأسلوبية في المقام الخطابي.

- التداولية: (Le pragmatique)

استعمل العمري هذا المصطلح كمنهج لساني في تحليل المشاريع البلاغية التي أولت اهتماما كبيرا في القضايا المتعلقة بالمقام الخطابي والظروف والملابسات المحيطة به، وكذا خواص التراكيب التـــي

تتلاءم مع حالة المخاطَب والمقام الخطابي؛ وهذا على اعتبار أنّ التراث البلاغي العربي في بعض مشاريعه (الجرجاني، السكاكي، حازم القرطاجني) يسعى إلى تأدية المعنى الصحيح للمستمع والتأثير فيه باللفظ المناسب من غير مزيد فيه ولا انتقاص عنه في البيان مما ينجر عنه دفع المستمع نحو سلوك معين من جهة، ومن جهة لسانية نجد أن التداولية باعتبارها علما يرتبط في مضمونه باستعمال اللغة بما يناسب مقام الخطاب ومقاصد المتكلمين، وهو ما جعل العمري يستعمل هذا المصطلح خصوصا على المشاريع المذكورة آنفا، فاستعماله في مشروع الجرجاني (المناسبة التداولية) مردّه راجع إلى التوجيه المقصدي والعلاقات الوظيفية في التراكيب (خواص التراكيب) التي انتهجها الجرجاني في دلائله، وهو يتقاطع مع الدراسات اللسانية التداولية التي تجعل من المقصدية خاصية جوهرية من خصائص الفعل الكلامي، والعمري عالج هذه المسائل المقصدية في بلاغة الخطاب القائمة على النظم (التقديم والتأخير، الحذف والذكر، الفصل والوصل)[1].

هذا من جهة، ومن جهة أخرى أبان عن التصوّر التداولي المقصدي في القضايا الانزياحية التي فصّل فيها الجرجاني خصوصا في مؤلَّفه "أسرار البلاغة" وجعل لها شرطا أساسيا وهو النّظم، حيث يقول: "أمّا التصور التداولي المقصدي في الدلائل فقد حاول استيعاب المادة الانزياحية وتهذيبها بجعلها مشروطة بالنظم"[2]، وهذا ما أثبته الجرجاني في سياق حديثه عن نظم الكلام، وذلك حين رأى أنّه لا وجود لاستقامة

[1]/ يُنظر: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص350.

[2]/ نفسه، ص347.

أي كلام وبلاغته إلا إذا استقام عموده وهو النظم في قوله: "وقد علمت إطباق العلماء على تعظيم شأن "النّظم" وتخيم قدره، والتنويه بذكره، وإجماعهم أن لا فضل مع عدمه، ولا قدر لكلام إذا هو لم يستقم له، ولو بلغ في غرابة معناه ما بلغ وبتهم الحكم بأنه الذي لا تمام دونه، ولا قوام إلا به، وأنه القطب الذي عليه المدار، والعمود الذي به الاستقلال"[1].

وأمّا استعمال العمري لهذا المصطلح عند السكاكي فقد كان مردّه هو الأبعاد التداولية التي تكرّس المقام الخطابي لكل من علمي المعاني والبيان في "مفتاح العلوم" عند السكاكي، إضافة إلى توظيف العمري لهذا المصطلح عند قراءته لمشروع حازم التي قدّم هذا الأخير تصورا للبلاغة منفتحا على الخطاب التداولي المنضوي تحت مصطلح (العلم الكلّي)[2].

ومن هنا فالعمري وظّف هذا المصطلح من جانبين، جانبٍ منهجي يتعلق بمضامين المنهج التداولي الذي يكرّس المقام الخطابي ونجاعة العملية التواصلية، وجانبٍ مفاهيمي يتعلّق بأبرز العناصر والمفاهيم التداولية كـ(القصدية) ويتجلى استعماله خصوصا في قراءته لمشاريع عبد القاهر الجرجاني، والسكاكي، وحازم.

- الحِجـــاج: (L'argumentation)

استعمل العمري هذا المصطلح كاستراتيجيات وآليات من شأنها أن تحقق وظيفة الإقناع، وقبل أن نستنبط تعريفا شاملا لهذا المصطلح عند العمري، لا بدّ أن نفصح عن تجلّيات استعمال العمري له، ويظهر ذلك بدءا في مفهوم البلاغة عنده الذي رأى أنه علم الخطاب المؤثّر القـائم على الاحتمال[3]، وقضية الاحتمال هي من المسلّمات الحجاجية الخمس التي حدّدها "أوليفي روبول" والتي استلهمها من جهود بيرلمان وتيتيكا ومن بينها: أنّ مسلّمات الحجاج لا تعدو أن تكون احتمالية[4]، فهذا مظهر أولي لمصطلح الحجاج وهو أنّه متضمّن في تعريف البلاغة عند العمري، والمظهر الثاني في استعمال هذا المصطلح يتجلى في الوظيفة الإقناعية للبيان عند الجاحظ، وذلك في سياق حديثه (العمري) عن المعرفة والإقناع، حيث بيّن في هذا الصدد أنه البيان لا يقتصر على الوظيفة الفهمية فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى الوظيفة الإقناعية، والمظهر الثالث لهذا المصطلح هو في قراءة العمري لمشروع السكاكي، والذي يرى (أي العمري)

[1]/ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة- مصر، ط3، تط1413ه/ 1992م ، ص80.

[2]/ يُنظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص226.

[3]/ يُنظر: المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة، ص71.

[4]/ يُنظر: مقالات أوليفي روبول، هل يوجد حجاج غير بلاغي؟، ترجمة: محمد العمري، في مجلة ملامات، جدّة- السعوية، 1996م، ص220.

أنّه يحمل وظيفة إقناعية من شأنها أن تدفع المتلقي نحو سلوك معيّن، وأمّا المظهر الرابع لهذا المصطلح فهو متضمّن في مشروع حازم، الذي عرض لمكونات الحجاج في صناعتَيْ الشعر والخطابة[1].

والعمري لم يتّخذ الحجاج قالبا يطبّقه على النصوص فحسب، بل استثمره في بناء عمل البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، وقد استخدمه بطريقتين: فأوّلها: الطريقة الخارجية: وذلك من خلال معالجته لتاريخ البلاغة العربية واتجاهاتها، والدفاع عن التقسيمات التي أقرّها. وأمّا ثانيها فهي: الطريقة الخارجية: وذلك من خلال البحث والتدقيق في مسألة الإقناع عند الجاحظ الذي أطلق عليه بـ: المعرفة والإقناع[2].

وقد أقرّ بهذا الأمر في قوله: "الفصل الذي خصّصته للبيان في كتاب البلاغة العربية كان موجّها لإبراز **البُعد الحجاجي** في البلاغة العربية من جهة ومحاورة مجموعة من الدارسين الذين كانوا يبحثون عن مصطلحات نقد الشّعر في البيان والتّبيين"[3]، وبهذا يمكن لنا أن نحدّد تعريفا شاملا لمصطلح الحجاج عند العمري وهو: مجموعة من الآليات والتقنيات المنطقية والتداولية اللّسانية والبلاغية التي تتحقّق في مظهرين (خارجي متعلق بتاريخ البلاغة وداخلي متعلّق بالمشاريع البحثية في التراث البلاغي) وتنبني على مقاربات إبستمولوجية وإيديولوجية، وتنطلق من خلفيات فلسفية غربية وعربية كلامية، وتهدف إلى التأثير والإقناع.

- الخَطابية:

وهي المصطلح الذي يقابل ريطوريك الأرسطية، ويُعدّ أرسطو هو أول من وضع علم الخطاب الإنشائي إلى شعرية وخطابية (بويتيك، ريطوريك)، ومقتضاها "العلم الذي يدرس الخطابة"[4]، وقد وظّف العمري هذا المصطلح في كتابه: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، حيث أشار في مقدمته بأنّه ترجمة لمصطلح الريطورية عند أرسطو وهو مقابل لمصطلح الشّعرية في قوله: "وسيصادف القارئ مجموعة من المصطلحات الجديدة التي لا مندوحة عنها للخروج من الخلط والاضطراب في بناء النّسق البلاغي (...) مثل لفظ الخطابية ترجمة لريطورية أرسطو"[5].

[1]/ يُنظر: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص487.
[2]/ يُنظر: نفسه، ص96، 97.
[3]/ أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص285.
[4]/ البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص14.
[5]/ نفسه، ص08.

وفي مضامين الكتاب يناقش العمري قضية الفصل والوصل بين الخطابية والشعرية ليصل إلى تحديد منطقة التقاطع بينهما والتي استنبطها من كلام "روبول" وهو: كلّ خطاب يجمع بين الحجاج والأسلوب، وتحضر فيه الوظائف الثلاث: المتعة والتعليم والإثارة مجتمعة، ومدعّمة بالحجاج[1].

- الشّعــرية: (La poesie)

هي اتجاه نظريّ يُعنى بفهم العمليّة الشعرية المعقّدة واحتوائها وتحديد إشكالياتها ورصد ظروفها وملابساتها والوقوف على مرتكزاتها ومقولاتها الفلسفية والعمل على تحديد آلياتها، وربط ذلك كلّه بالعلوم والاتّجاهات اللّسانية والأدبية والنقدية والنّفسية والفلسفية من جهة التأثير والتأثّر، وقد نشأ هذا المصطلح عندما ارتبط بالتّفكير النقدي للشكلانيين الروس، وبالنّقد البنوي والدّراسات اللّسانية المعاصرة، وهذا ما جعل العمري يستعمله في مشروعه الحداثي على التراث وعلى الدّراسات اللسانية المعاصرة، واستعماله في التراث نجده واضحا في قراءته لعمل قدامة بن جعفر الذي وضعه تحت عنوان: "سؤال الشّعرية في (نقد الشعر) لقدامة بن جعفر"[2]، حيث رأى أنّ قدامة تعامل مع الشعرية تعاملاً بنائيًّا شكليًّا في المكوّنات الآتية: العروض والوزن، القوافي والمقاطع، الغريب واللغة (اللفظ)، المعاني والمقاصد[3]، ثمّ يذكر العمري موقفه من هذا الاستعمال من قِبل قدامة، ليبيّن بأنّ النّسق الذي اعتمده هو نسق بنوي شكلي يفتقر إلى تحديد المبدأ الشعري أو السّر كما سماه القدماء أو الأدبية أو الشعرية كما عند المحدثين[4].

أي أنّ هناك غيابا لسرّ الفاعلية والمكامن التخييلية التي تتضافر فيها كلّ هذه المكوّنات. كما أنّ العمري استعمله في مشروع الجرجاني تحت عنوان: "الغرابة الشّعرية"[5]، والقصد من استعماله في هذا الموضع هو وصفه لمصطلح الشعرية عند الجرجاني بالمفارقة والتخييل والتركيب والتأويل والغموض...الخ[6]، وهي قضايا تختص بمباحث علم البيان مثل: التّشبيه، التّمثيل، المجاز، الاستعارة.

كما استعمل العمري هذا المصطلح في سياق حديثه عن البلاغة الجديدة التي ظهرت فيها توجّهات وتيّارات ورثت البلاغة القديمة، ومن بين هذه التيّارات ما جاء به جان كوهن الذي رأى بأنّ اللغة الشعرية

[1]/ يُنظر: نفسه، ص22.
[2]/ البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص300.
[3]/ يُنظر: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص300.
[4]/ يُنظر: نفسه، ص301.
[5]/ نفسه، ص323.
[6]/ يُنظر: نفسه، ص323.

هي الوريث للبلاغة القديمة وذلك في كتابه: بنية اللّغة الشّعرية، وهذه الرؤية خصّص لها العمري توجّها أسماه بـ: التّوجه الأسلوبي/ الأدبي (أو الشعري)[1].

- الصورة:

وقد ترجمها العمري إلى معنيين:

أ/ الصورة ترجمة لكلمة (image) ومقتضاها "كل ما يترتب عن التشبيه والتمثيل والاستعارة والكناية مقروءة في ضوء الدراسات اللسانية الحديثة"[2].

- الصورة ترجمة لكلمة (figure) ومقتضاها "كل ما يتصل بمجال التصوير والتشكيل والصوغ الذي يربط الجزئيات بالجوهر"[3].

وهذه الترجمة التي اعتمدها العمري في كتابه: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول وكتاب البلاغة والأسلوب، وكتاب تحليل الخطاب الشعري ومقالات علمية أخرى[4].

ومردّ استعمال العمري لهذه التّرجمة يعود لسببين: فأوّلهما هو ضرورة المحافظة على كلمة لها صلة بمجال التّصوير والتّشكيل والصوغ الذي يربط الجزئيات بالجوهر. وذلك حينما يتم اشتقاق الصفات من كلمة figure، فنقول figuratif (art figuratif مثلا) نكون بذلك قد انتقلنا إلى مجال التصوير والتشكيل بالمعنى الذي تؤديه كلمة image من دون التباس[5].

وهذا ما نجده مثلا في تطوير دراسة الاستعارة وذلك بالبحث في الأصول الأنثروبولوجية للمجاز. فالاستعارة تنتمي في مبحثها الأدبي الضيق إلى الصورة البيانية (image) ولكنها تنتمي في المستوى الأنثروبولوجي للمعرفة إلى الرؤية الصّورية بمعنى figuratif بحيث لا يمكن أن تشتق صفتها من image التي ستحيل على الخيال (imagination)[6]. وهذا العامل جعل العمري يقدّم من خلال هذه الترجمة رؤية واسعة لمصطلح الصورة والتي لا تقتصر على الجانب الخيالي فحسب وإنما تتجاوز ذلك إلى الجوانب الأنثروبولوجية للمعرفة الصورية.

---

[1]/ البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص66.

[2]/ جاء في منهاج البلغاء: "ومعرفة طرق التناسب في المسموعات والمفهومات.....الخ". ص226.

[3]/ البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص204.

[4]/ يُنظر: نفسه، ص13. ص209.

[5]/ يُنظر: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص209.

[6]/ يُنظر: نفسه، ص210.

وثانيهما: هو أنّ كلمة محسّن تحمل حكمَ قيمة، ويربط هذا المفهوم بتصور بلاغي له سياقه التاريخي في البلاغة العربية والغربية، فالمحسّنات في البلاغة العربية سارت وفق سياقين: فأوله ما جاء به "ابن المعتز" وذلك في كتابه "البديع"، حيث استعمل مصطلح محاسن للدلالة على ألوان البديع سواء في النثر أو الشعر وهي: الاستعارة - التجنيس - المطابقة - رد للعجز على الصدر - المذهب الكلامي[1]. وأمّا السياق الثاني فقد ظهر عند السّكاكي والذي يُعنى بمحاسن الكلام أي: الإضافات التحسينية له[2]. في حين أنّ هذا المصطلح في البلاغة الغربية استُعمِل في الجوانب الزخرفية التي هيمنت في ظروف تراجع الفكر الفلسفي على حساب بلاغة الحجاج[3].

3/ المصطلحات التي وضعها محمّد العمري في مشروعه (إبداع)

- الاحتمال:

استعمل العمري هذا المصطلح حينما قدّم مفهوما للبلاغة العربية الذي هو: "علم الخطاب المؤثر القائم على الاحتمال"[4].

وقد جعل العمري هذا المصطلح أساسا من الأسس التي يقوم عليها النّسق البلاغي العام الذي يجمع بين مجال التخييل ومجال التّداول (الحجاج)، أي أنّ المجال التخييلي للنسق البلاغي يحتمل أن تكون فيه قضايا تداولية حجاجية، ومن جهة أخرى نجد أنّ المجال التداولي (الحجاجي) للنسق البلاغي يحتمل أن تكون فيه قضايا تخييلية، وقد أعطى العمري توجيها مماثلا لهذا عند أرسطو حينما بنى هذا الأخير الخطاب على قضية الاحتمال، ذلك أنّ "خطاب الشاعر كذب محتمل الصّدق، وكلام الخطيب صدق محتمل صدق محتمل الكذب"[5].

ولنضرب مثالا حول تأسيس النسق البلاغي على قضية الاحتمال بين المجال التخييلي والتداولي (الحجاجي)، هو الصورة البيانية التخييلية الخاصة بالتشبيه البليغ الذي تُحذَف فيه أداة التشبيه ووجه الشبه، وسُمّي بليغا لوجود اختصار من جهة، وفيه تصوّر وتخيّل من جهة أخرى؛ لأن وجه الشبه إذا

[1]/ يُنظر: عبد الله بن المعتزّ، البديع في البديع، دار الجيل، بيروت- لبنان، ط1، تط: 1410ه/1990م ، ص22.

[2]/ يُنظر: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص211.

[3]/ يُنظر: نفسه، ص210.

[4]/ المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة، ص71.

[5]/ البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص15.

حذف ذهب الظّن فيه كل مذهب وفُتح باب التأويل، وفي ذلك يكسب التشبيه قوة وروعا وتأثيرا[1]، ومثال ذلك: خالد بن الوليد أسد، فهذا التشبيه قائم على صورة تخييلية تتمثل في وجود مشبه (خالد بن الوليد) ومشبه به (أسد) وحذف لأداة التشبيه ووجه الشبه لشدّة التمازج بينهما، وهو ما أكسب قوّة تصويرية في الجانب التخييلي، ويحتمل بُعدًا حجاجيًّا وهو أنّ هذه الصورة تقع في أعلى درجات السلّم الحجاجي وتكون متفاوتة في القوة الحجاجية مقارنة بالتعبير الحقيقي المباشر وتؤدي إلى تحقيق النتيجة المتمثّلة في شجاعة خالد بن الوليد وتقيم علاقة وثيقة بين المعنى الحقيقي والنتيجة المتحققة.

وبالتالي فمصطلح الاحتمال شكّل ترابطا وثيقا بين البُعدين التخييلي والتداولي (الحجاجي) في الخطاب البلاغي وفتح المجال أمام التأويل والتحليل والقراءة النقدية له.

- الاعتدال:

استعمل العمري هذا المصطلح – كما أشرنا سابقا – في سياق قراءته لمشروع الجاحظ، حيث رأى أنّ هذا المصطلح يقع في دائرة البيان عند الجاحظ، وقد رمز له برمز الإيجاب (+) أي أنّ الخطيب عندما يكون خطابه ضمن هذه الدائرة فإن عنصر التأثير والإقناع سيحصل في نفوس وأذهان المتلقين، ويؤدي به ذلك إلى أن يتجنب كل مظاهر العيّ والخطل التي تعيق التفاعل بين أطراف الخطاب، وبالتالي فإن استحداث العمري لهذا المصطلح يعطي بُعدَين يتصلان بالدراسات اللسانية المعاصر: **بُعدًا تداوليّا** له صلة بالمقام ونجاعة العملية الخطابية وحسن استعمال الخطاب وتوجيهه توجيها صوتيًّا ومقاميًّا مناسبا للظروف والأحوال المحيطة به، **وبُعدًا سيميائيًّا** له صلة بالترميز الإيجابي الدال على نجاعة الخطاب من جهة، ومن جهة أخرى له صلة بالحركات المعتدلة والمتناسبة التي يجريها الخطاب مع خطابه والمساعدة في تحقيق عنصر التأثر والتركيز من قِبل المتلقين.

- البلاغة العامة:

[1]/ يُنظر: أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي- العراق،دط،تط1406هـ/1986م ، ج2، ص180.

يُقصد بهذا المصطلح المنطقة المشتركة بين الشعرية والخطابية أو نقطة الوصل بينهما إنها بلاغة كلية تستوعب ثمار علوم اللسان وعلوم الإنسان[1].

ويذكر العمري في كتابه: (البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول) أنّ حازم القرطاجني قد صرّح بوضوح بأن البلاغة هي العلم الكلّي لمعرفة تناسب المسموعات والمفهومات[2].

ويؤكد أنّ بلاغته منفتحة على الخطاب التداولي من خلال المقارنة بين التخييل والتصديق، وبيان مدى تداخلهما وتخارجهما في الخطابين الشعري والتداولي. وهذا من المشاريع التي أثرى بها العمري هذا المصطلح (البلاغة العامة)، ومن المشاريع التي دعت العمري إلى استعمال هذا المصطلح في البلاغة الجديدة مشروع الجرجاني الذي وظّف قضية الاحتمال حين انتقل في حديثه من (النقل) إلى (الادّعاء)، وفي حديثه عن الإيهام والتخييل، فمصطلح الاحتمال إذن هو أساسي في البلاغة العامة؛ إذ أنّه يمتد بين طرفي البلاغة، أي بين الشعر والخطابة، وبين التخييل والتصديق[3].

ومن جهة أخرى هذا الأساس مُستعمَل عند الغربيين، أمثال "بيرلمان وتيتيكا" اللّذَيْن رأيا أنّ طبيعة الحجاج والتداول تتعارض مع الضرورة والبداهة، حيث لا يحصل تداول حين يكون حلٌّ (بعينه) ضروريا، ولا تحصل محاججة ضد القضايا البديهية، بل إن مجال الحجاج هو مجال الشبيه (بالحقيقة) أي: المحتمَل[4]. وأمثال "بول ريكور" الذي أشار إلى القضية التي تعبر عن مضمون البلاغة العامة، وهي تقاطع الشعرية والخَطابية، حيث يرى أنهما يتقاطعان في منطقة الاحتمال[5]. وبعدما حدّد العمري الأساس الذي يقوم عليه مصطلح البلاغة العامة وهو الاحتمال، أشار إلى أنه موضوعه (البلاغة العامة) هو الخطاب الاحتمالي "المؤثر القائم على الاختيار مناسبة أو إغرابا (...) نابع من بناء الخطابة على ادعاء الصدق مع احتمال الكذب (الخيال)، وبناء الشعر على ادّعاء الكذب مع احتمال الصّدق. فالخطابة تستعمل الأشكال المنطقية بمقدمات ومضامين احتمالية، والشعر يستعمل الاستعارة في أفق أسطوري"[6]، ومن هنا نجد أنّ مصطلح البلاغة العامة قائم على محورين (الخطابة والشعر) ومؤسَّس على عنصر الاحتمال

[1]/ يُنظر: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص21.
[2]/ يُنظر: نفسه، ص56.
[3]/ يُنظر: المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة، ص44.
[4]/ يُنظر: نفسه، ص46.
[5]/ يُنظر: نفسه، ص46.
[6]/ نفسه، ص47.

ومُستقى من مشاريع عربية (الجرجاني، حازم القرطاجني) ومشاريع غربية (بيرلمان، تيتيكا، بول ريكور) وقد وظّفه العمري في مشروعه الخاص بالبلاغة الجديدة.

- البَنينة:

تُشتقّ هذه الكلمة من المصطلح اللّساني (البِنية) التي تعني لسانيا بأنها نسق من العلاقات الباطنية (المدركة وفقا لمبدأ الأولوية المطلقة للكلّ على الأجزاء) له قوانينه المحايثة، من حيث هو نسق يتّصف بالوحدة الداخلية والانتظام الذاتي على نحو يفضي فيه أي تغيير في العلاقات إلى تغيير النّسق نفسه[1].

هذا فيما يخص اشتقاق الكلمة من الناجية اللّسانية، وأمّا القصد من استعمال العمري لهذا المصطلح فقد جاء في سياق حديثه عن قضايا البديع ومحاسن الكلام، يرى أنّها تنقسم إلى قسمين: قسم ترك فيه "ابن المعتز" المجال مفتوحا لزيادة السجلات البديعية، وقسم آخر يعبّر عن مضمون هذا المصطلح وهو وضع **ترتيب منهجي وضبط نسقي لتجنيس** أبواب البديع أي: وضع أساليب البديع في **بنية** تتألف فيها أبوابه، وقد ساق العمري نموذجا تحقّق فيه مضمون هذا المصطلح وهو عمل "السّجلماسي" (ت 1214ه) الذي أبان عن منهج عمله في الكتاب في قوله:

"..وبعد فقصدنا في هذا الكتاب الملقب بالمنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، إحصاء قوانين أساليب النّظوم التي تشمل عليها الصناعة الموضوعية لعلم البيان وأساليب البديع وتجنيسها في التصنيف وترتيب أجزاء الصناعة في التأليف على جهة الجنس والنوع (...) إنّ هذه الصناعة الملقبة بعلم البيان وصنعة البلاغة مشتملة على عشرة أجناس عالية. وهي: الإيجاز والتخييل والإشارة والمبالغة والوصف والمظاهرة والتوضيح والاتّساع والإنشاء والتكرير"[2].

من خلال هذا القول نستشفّ أنّ البديع عند "السجلماسي" يشمل علوم البلاغة (في عمومها) ولا يقتصر على ما اعتاده البلاغيون المتأخرون معالجته فحسب (المحسنات اللفظية والمعنوية). وبهذا التصنيف والترتيب من جهة الجنس والنوع أطلق العمري مصطلح "البَنينة" للدّلالة على وجود نسق قائم على التصنيف والترتيب يجمع بين علوم البلاغة على العموم تحت مسمّى "البديع".

[1]/ يُنظر: ليونارد جاكسون، بؤس البنيوية، الأدب والنظرية البنيوية، ترجمة: ثائر علي ديب، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-سوريا، دط، تط2008م، ص47.

[2]/ السجلماسي (أبو محمد القاسم الأنصاري)، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق: علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط-المغرب، ط1، 1401ه/ 1980م، ص51.

- المستمَع:

يقصد العمري بهذا المصطلح: "المقام الخطابي بمكوناته الثقافية والزمانية والمكانية"[1]، وقد قسّمه إلى مستَمع خاص من عدة جوانب: من جهة الكفاءة، ومن جهة المعتقدات التي تكون فكرية ووجدانية في آن واحد. ومستَمع غير مختص (عام): أي لا يحمل كفاءات معينة أو معتقدات موجّهة توجيها دقيقا.[2]

خاتمة:

وفي الأخير يمكن القول أنّ العمري اعتمد في بناء مشروعه البلاغي على جملة من المصطلحات اللّسانية والحجاجية منها ما هو تراثي (قديم) أحياه العمري في تصوّر جديد، ومنها ما ترجمه (أو غيره) من الدّرسات اللّسانية الغربية، ومنها ما هو من وضعه وإبداعه، فهي مصطلحات **تجمع بين آليات: الإحياء، والتّرجمة، والإبداع.**

وقد شكّل كلّ ذلك جهازا مفاهيميًّا يتطلّع إلى رؤية حداثية تتماشى والنظريات اللّسانية المعاصر، ممّا يفتح آفاق البحث والتطوير في المسائل والظواهر البلاغية للتّراث.

قائمة المصادروالمراجع:

أ/ الكتب:

- أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي- العراق،دط،تط1406ه/1986م.
- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط3، دت.
- الخفاجي (أبو محمد عبد الله بن سنان)، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، تط 1402ه/1982م.
- سعد عبد الله مصلوح، حازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر، دار عالم الكتب، القاهرة- مصر، ط2، تط 2015م.
- سكاكي (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر)، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط2، تط1402ه/1987م.
- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، دار عالم المعرفة، القاهرة- مصر، دط، تط أوت 1992م.
- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،ط1،تط 1422ه/2001م.
- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة- مصر، ط3، تط1413ه/ 1992م.
- عبد الله بن المعتزّ، البديع في البديع، دار الجيل، بيروت- لبنان، ط1، تط: 1410ه/1990م.
- محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، دار أفريقيا الشرق، المغرب، ط2، تط2012م.
- محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، دار أفريقيا الشرق، المغرب، دط، تط213.
- محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، دار أفريقيا الشرق، المغرب، ط2، تط2010م.

[1]/ البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص14.

[2]/ يُنظر: نفسه، ص220، 221.

- محمد العمري، المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة، دار أفريقيا الشرق–المغرب، دط، تط2017م.
- ناظم عودة خضر، الأصول المعرفية لنظرية التلقي، دار الشروق، الأردن، دط، تط 1997م.
- ليونارد جاكسون، بؤس البنيوية، الأدب والنظرية البنيوية، ترجمة: ثائر علي ديب، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-سوريا، دط، تط2008م.
- السجلماسي (أبو محمد القاسم الأنصاري)، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق: علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط-المغرب، ط1، 1401ه/ 1980م.

ب/ بحوث علمية:

- مقالات أوليفي روبول، هل يوجد حجاج غير بلاغي؟، ترجمة: محمد العمري، في مجلة ملامات، جدّة- السعوية، 1996م.

ج/ رسائل علمية:

- بلقرينة محمد، آليات الخطابة الجديدة مقاربة لسانية تداولية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف، أحمد عزوز، جامعة وهران1 أحمد بن بلة، كلية الآداب والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، الموسم الجامعي، 2015/2014م.